180634 ـ كم مكث ابن عمر في حفظ سورة البقرة ؟ وهل أحفظ المتون قبل الانتهاء من حفظ القرآن ؟

السؤال

مضى من عمري 26 عاماً ، أرغب بطلب العلم الشرعي ، وقد قررت أن أبدأ بحفظ القرآن الكريم ـ بإذن الله وعونه ـ وسؤالي عن أثر ورد بأن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ حفظ سورة " البقرة " في ثمان سنوات ، فهل يصح هذا الأثر ؟ وما السبب في طول المدة ؟ وما الأسلوب الأنجع والأمتن لحفظ القرآن الكريم ؟ وهل أستمر حتى أحفظ كامل القرآن أم أنتقل للكتب وأنوّع بين حفظ القرآن وحفظ المتون ؟ وإن خيّرتُ بين حفظ القرآن بصعوبة أو حفظ صحيح البخاري بيسر أكثر من حفظ القرآن أيهما يختار ؟

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

أولاً:

طلب العلم شرف عظيم ومنَّة كبيرة يمن الله بها على عبده قال تعالى : (يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ) المجادلة/ 11 ، وقال تعالى (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ) الزمر/ 9 ، ونحن نهنئك أن سلكتَ الطريق الموصل إلى الجنة ، عَنْ كَثِيرِ بْنِ قَيْسٍ قَالَ : كُنْتُ جَالِسًا مَعَ أَبِي الدَّرْدَاءِ فِي مَسْجِدِ دِمَشْقَ فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ : يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ إِنِّي جِئْتُكَ مِنْ مَدِينَةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِحَدِيثٍ بَلَغَنِي أَنَّكَ تُحَدِّثُهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا جِئْتُ لِحَاجَةٍ قَالَ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : (مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ ، وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالْحِيتَانُ فِي جَوْفِ الْمَاءِ ،وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ ،وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا وَرَّثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ) رواه أبو داود (3641) وصححه الألباني في " صحيح أبي داود " .

وكفى بهذا الحديث شرفاً وأجراً وثواباً لطالب العلم .

ثانياً:

من أفضل ما يشرع فيه المسلم حفظ القرآن الكريم ، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : (يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ اقْرَأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِى الدُّنْيَا فَإِنَّ مَنْزِلَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا) رواه الترمذي (2914) وقال

: حسن صحيح ، وأبو داود (1464) ، وحسنه الشيخ الألباني في " مشكاة المصابيح " (2134) .

ومعنى القراءة هنا : الحفظ .

وأحاديث كثيرة وفضائل جمة .

قال ابن عبد البر – رحمه الله ـ : " طلب العلم درجات ومناقب ورتب لا ينبغي تعديها ، ومن تعداها جملة ، فقد تعدى سبيل السلف رحمهم الله ، ومن تعدى سبيلهم عامداً ضل ، ومن تعداه مجتهداً زل .

فأول العلم : حفظ كتاب الله جل وعز وتفهمه ، وكل ما يعين على فهمه فواجب طلبه معه ، ولا أقول إن حفظه كله فرض ، ولكن أقول إن ذلك واجب لازم على من أحب أن يكون عالماً " انتهى من " جامع بيان فضل العلم وأهله " (2 / 166) .

ثالثاً:

أما أثر ابن عمر : فقد ذكره الإمام مالك في " الموطأ " (479) أَنَّهُ بَلَغَهُ " أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ مَكَثَ عَلَى سُورَةِ الْبَقَرَةِ ثَمَانِيَ سِنِينَ يَتَعَلَّمُهَا " ، والبلاغ يعني : أنه مقطوع الإسناد في أوله ، وعليه : فيكون الأثر ضعيفاً .

وقد ثبت عن ابن عمر رضي الله عنه بإسناد صحيح متصل أنه مكث أربع سنين في تعلُّم سورة البقرة ، وهو ما رواه ابن سعد في " الطبقات الكبرى " (4 / 164) قال : أخبرنا عبد الله بن جعفر حدثنا أبو المليح عن ميمون " أن ابن عمر تعلَّم سورة البقرة في أربع سنين " .

وهل التعلم في الأثرين هو الحفظ أم الفقه والفهم ؟ الأمر محتمل ، وقد كان هدي الصحابة ، وهممهم منصرفة إلى التفقه والفهم .

قال أبو عبد الرحمن السلمي : " حدثنا الذين يُقرؤوننا القرآن أنهم كانوا لا يتجاوزون عشر آيات حتى يعلموا ويعرفوا ما فيها من علم وعمل " .

قال الزرقاني – رحمه الله ـ : " ليس ذلك لبطء حفظه ـ معاذ الله ـ بل لأنه كان يتعلم فرائضها وأحكامها وما يتعلق بها ، فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم كراهة الإسراع في حفظ القرآن دون التفقه فيه ، ولعل ابن عمر خلط مع ذلك من العلم أبواباً غيرها ، وإنما ذلك مخافة أن يتأوله على غير تأويله ، قاله الباجي " انتهى من " شرح الزرقاني لموطأ مالك " (2 / 27) .

رابعاً:

أما الأسلوب الأمثل لحفظ القرآن : فالطرق كثيرة لكن يجب عليك معرفة مقدرتك على الحفظ وفراغ وقتك ثم تبدأ العمل .

وننصحك بأمور :

1. عدم الإكثار في قدْر الحفظ حتى لا تمل ، بل تكون نشيطاً للغد .
2. الارتباط بحلقة تحفيظ أو مع شيخ ؛ فهذا أدعى للاستمرار .
3. فهم الآيات قبل الحفظ ؛ فهذا أنشط لك وأشد رسوخاً للمحفوظ وذلك بقراءة تفسير ميسر .
4. الاهتمام بمراجعة المحفوظ أكثر من الاستزادة من الحفظ ، فعَنْ أَبِي مُوسَى عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ :(تَعَاهَدُوا

هَذَا الْقُرْآنَ فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَهُوَ أَشَدُّ تَفَلُّتًا مِنَ الإِبِلِ فِى عُقُلِهَا) رواه مسلم (791) .

5. وجود نسخة معينة من المصحف تحافظ على القراءة منها ؛ حتى تنطبع صورة الصفحة في ذهنك .

6. تصحيح التلاوة مع الحفظ على مُقرئ .

7. كثرة السماع لتلاوات المقرئين الكبار .

8. العمل بما تحفظ ، وهذا هو غاية الفضل .

9. قيام الليل بما حفظت ، أو أن تسمِّع لنفسك القدر المحفوظ في صلاة النهار .

10. كثرة الدعاء وسؤال الله التوفيق .

وانظر جواب السؤال رقم (7966) .

خامساً:

هل تحفظ القرآن ثم تنتقل للكتب الأخرى أو تجمع بينهما ؟ الأفضل والأولى : أن تجعل جهدك في حفظ القرآن ، فإذا انتهيت منه انتقلت إلى غيره من كتب العلم ، لكن إن و جدت من نفسك تراخياً وفتوراً ، فجدِّد همَّتك ببعض الكتب والمتون من غير إكثار .

وقد كان الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ – رحمه الله ـ إذا جاءه الطالب يريد طلب العلم يسأله هل حفظتَ القرآن ؟ فإن قال لا : ردَّه ليحفظ ، وقد سبق ذكر كلام الإمام ابن عبد البر في هذا الشأن .

سادساً:

أما سؤالك الأخير : فإن حفظ القرآن أيسر من حفظ الحديث النبوي ؛ لأنه ميسَّر من الله تعالى ، قال تعالى :(وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ) القمر/ 17 ، لكن قد تحين فرص أو دورات لحفظ السنَّة النبوية تشجعك على حفظ الحديث أكثر من حفظ القرآن ، فلا بأس بالارتباط بها ثم العودة إلى حفظ القرآن .

وقد يعاب على طالب العلم أن يكون حافظاً لصحيح البخاري غير حافظ لكتاب الله ، فكلام الله أولى بالحفظ والفهم من حيث الأصل .

نسأل الله أن يوفقك لما فيه رضاه وأن يبارك لك في وقتك وييسر لك حفظ القرآن وعلم السنَّة والعمل بهما .

والله أعلم